(بِكلّ بساطة)

"كلامك كثير ومعقّد. أعطنا الزبدة والخلاصة". هكذا قيل لي، وفي هذه المقالة سأبسّط أهمّ مبادئ حياتي إن شاء الله.

المبدأ الأوّل: إن شاء الله. فأنا لا أرى لنفسي أي وجود أو قدرة بدون الله. ولا أقول ذلك من باب التقوى والتواضع الإيماني، لكنّي أشعر به في عمق كياني وعين ذاتي. ولذلك آفاقي دائماً منفتحة، وكل شئ ممكن عندي قابل للتغيّر، لأنّي رهن المشيئة الإلهية.

المبدأ الثاني: الموت. أنا أعلم بأنّي سأموت، وأعي ذلك جيّداً، وأتذكّره كل فترة وخصوصاً في المواقف المهمّة اللذيذة أو المؤلمة. نهاية هذه الحياة حاضرة في وعيي، وأبني على هذا الوعي أمور كثيرة. من أهمّ ما أبنيه عليها هو رفض الانتحار. فمهما ظهرت لي الحياة بلا معنى أو غاية، خصوصاً في بعض المواقف المؤلمة أو الشعور بالعجز واليأس من تحسّن بعض الأمور، ففكرة الانتحار أي التخلّص من هذه الحياة، لا تأتيني لأنّي أعلم بأنّي سأموت قطعاً، فلا أستعجل الخروج من هذه الحياة.

المبدأ الثالث: القراءة. أنا أحيا لأقرأ. أقرأ نفسي، أقرأ العالَم، أقرأ الكتب، أقرأ أسماء الله ومشيئته وإرادته. القراءة هي مبرر الحياة عندي. وقد رجدت وراء كل واقعة معنى يستحقّ القراءة، بل معاني. فمهما كانت الحوادث، لا أراها إلا كتباً تستحقّ القراءة. فإذا كان الاختيار بيدي، أفضّل قراءة الكتب الحسنة واللذيذة، وأمّا إذا فُرِض عليّ الواقع فرضاً وقهراً، فأعتبر حظّي من اللذة والسعادة في هذا الواقع هو قراءة معناه وتأمل أصله وسببه وفكرته وتأويله. الحكمة دائماً لذيذة، ولذلك القراءة دائماً تنتج اللذة، مهما كان الواقع مُرّاً وقبيحاً.

المبدأ الرابع: الأذكار. أيا كان حالي، أحافظ على أورادي. أذكر الله وأدعوه، في كل موقف وفي كل يوم. وجوهر معاني الوجود عندي يتمثّل في الأذكار. وحتى لو فقدت كل شئ، أعتبر الأذكار هي الجوهر غير القابل للفقدان لأن المذكور دائم الحضور في قلبي، والوجود ليس إلا هو وأنا، والباقي صور يعرضها عليّ لأشاهده فيها وأرجع إليه منها وأصدر منه إليها.

المبدأ الخامس: المعاش. أطلب معيشتي بنفسي، وأعتمد على كسب يدي، ولا أتنازل أبداً عن استقلالي مهما كان في ذلك راحتي. فأنا أعلم، فكرياً وتجريبياً، مدى الذلّ والهوان الكامن في الاعتماد على الآخرين في تحصيل المعاش، أيّا كان هذا الآخر. واستقلال عقلي (الذي هو أساس القراءة)، واستقلال قلبي (الذي هو أساس الأذكار)، كلاهما له قاعدة، وهذه القاعدة هي الاستقلال المعيشي. معاش قليل مع استقلال أفضل من معاش كثير مع تحمّل قهر النساء والرجال. أطلب المعيشة في النهار، ولا أفكّر بها بعد الفراغ منها، وفي وقت الطلب لو وجدت وقتاً فارغاً أشغله بالقراءة والأذكار والكتابة.

المبدأ السادس: الكتابة. إذا كانت حياتي بالقراءة، وقلبي بالأذكار، فإن قيمتي عندي في الكتابة. بالكتابة أنا خلّاق، وبالكتابة أنبسط، وبالكتابة أبقى أبد الدهر، وبالكتابة يتفعّل عقلي وتظهر حقيقتي.

القراءة شهيق، والكتابة زفير، والحق هو الهواء. بدون هواء نموت، بدون شهيق نموت، بدون زفير نموت. فلابد من الكتابة لإتمام عملية التنفّس الوجداني.

المبدأ السابع: الوجود. الوجود عندي لا حدّ له. والوجود هو الحقّ. والوجود واحد مترابط متّصل بعضه ببعض. وكل ما هو موجود، فلا أسمح لعقلي باعتباره غير موجود. فأن أعتبر المعدوم موجوداً أهون من أن أعتبر الموجود معدوماً. كل ما هو موجود مقبول في عمق قلبي، لأن الوجود حق، والحق هو غذاء القلب، ورفض الحق عذاب للقلب. فحتّى لو رفضت موجوداً على المستوى العملي، فلا أرفضه على المستوى العلمي والتأملي والنظري والعاطفي. ولأن الوجود عندي مطلق وواحد، فالنتيجة أنّي أقرأ كل شئ، ولا أرفض قيمة أي كتاب وأي متكلّم رفضاً قاطعاً مطلقاً. ولأن الوجود عندي لا حدّ له، فأنا لا حدّ لي، إذ لولا أني لا حدّ لي لما استطعت أن أعرف الوجود كحقيقة لا حدّ لها. لولا أن في ذاتي شئ مطلق، لما استطعت أن أعرف شيئاً مطلقاً. أنا مبسوط لأنّي أرى الوجود مطلقاً. رجاء تحسّن الأحوال والمآل في قلبي يعتمد على رؤيتي للوجود كحقيقة مطلقة، لأن المطلق لا يحدّه شئ، بالتالي لا يمكن أن يكون الواقع سيئاً بنحو لا يمكن تحسّنه إذ هذا يؤدي إلى حد الوجود، وهو غير محدود عندي.

المبدأ الثامن: النفس. أهتمّ بنفسي ولا أعرف إلا نفسي، وإذا كانت نفسي راضية فحينها أتمكّن من إرضاء غيري. وأحياناً رضا نفسي يعتمد على إرضاء غيري، وإنصاف غيري من نفسي، فأُنصف من نفسي مهما كان ذلك مُذلاً لي ومؤلماً ومُظهراً لي بمظهر الضعيف والجبان والمهين في أعين الآخرين، لأن رضا نفسي بالإنصاف أعظم من تألمها بتلك الألفاظ، وقد جرّبت ذلك مراراً فوجدت نور الرضا يمحق ظلمة الانتقاد. نفسي واسعة تشمل الكائنات بل تمتد عبر الزمان والمكان، فقد أعتبر شخصاً وُجد منذ ألف سنة أهمّ لنفسي من شخص ماثل أمامي، وقد أعتبر القيام بعمل اليوم يمكن أن ينتفع به جيل بعد ألف سنة أهمّ من القيام بعمل يتلذذ به بدني الآن. نفسي هي مركز اهتماماتي، ونفسي دائرة تسع العالَم. وفهم نفسي أولى أولوياتي.

المبدأ التاسع: الإباحة. لا أحرم نفسي من شهوة، أبداً. طالما أنهي اشتهيت، فلابد من التناول. ثم بعد التناول، أتفكّر في أبعاد الشهوة وقيمتها وشؤونها، ثم قد أرجع إليها أم أدعها أو غير ذلك من احتمالات. لا أكبت فكرة ولا شهوة، وكل شئ عندي قابل للتصريح والإظهار بنحو أو بآخر، حتى لو بالتكلّم والكتابة، حتى ولو كان الإظهار بأقلّ درجة ممكنة من الإظهار والتنفيذ. كل فكرة عندي مباحة، وكل شهوة عندي مباحة، وكل ما يصدر من نفسي مُباح لنفسي، إذ لولا أنه من طبيعة الوجود لما صدر منّي، ولولا أن له قيمة نفسية لما صدر من النفس ولما طلبته ومالت إليه. أفضل وقت لإنفاذ الشهوة هو وقت صدورها، وقمعها وتأخير إنفاذها يؤدي إلى تضخمها وقد تتضخم إلى حدّ تتحوّل فيه إلى وحش كاسر بعد أن كانت مجرّد هرّة لطيفة. الشهوة التي فيها عدوان قهري على الآخرين لا تكون إلا مرضاً نتج عن قمع الشهوة البسيطة الأولية، ولذلك لا أنفذها ولا أسمح لها بالظهور. الشهوة اللطيفة لابد من إطلاقها، الشهوة العنيفة لابد من تحليلها.

المبدأ العاشر: الجنّة. أرجو أن يخلق الله لي داراً أبدية تكون لي بعد الموت، فيها سعادة ولذّة لا نهاية ولا حدّ لها، ولا نزاع فيها ولا ألم ولا صراع. علمي بلطف الله وإطلاق الوجود، وأمور أخرى كوشفت بها، يجعل رجائي هذا معقولاً وقويّاً في نفسي ومؤثراً في وجداني.